مجلة كليّة
الدعوة الإسلامية
عشر
مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة تصدر سنويًا
1424 من ميلاد الرسول ﷺ 1995 أفرنجي

إختتام النّبوّة

ظاهرة الشّعراء الكُتّاب في ليبيا

مالم يُذع من المصطلحات النحويّة

مجمل لتاريخ الكنيسة

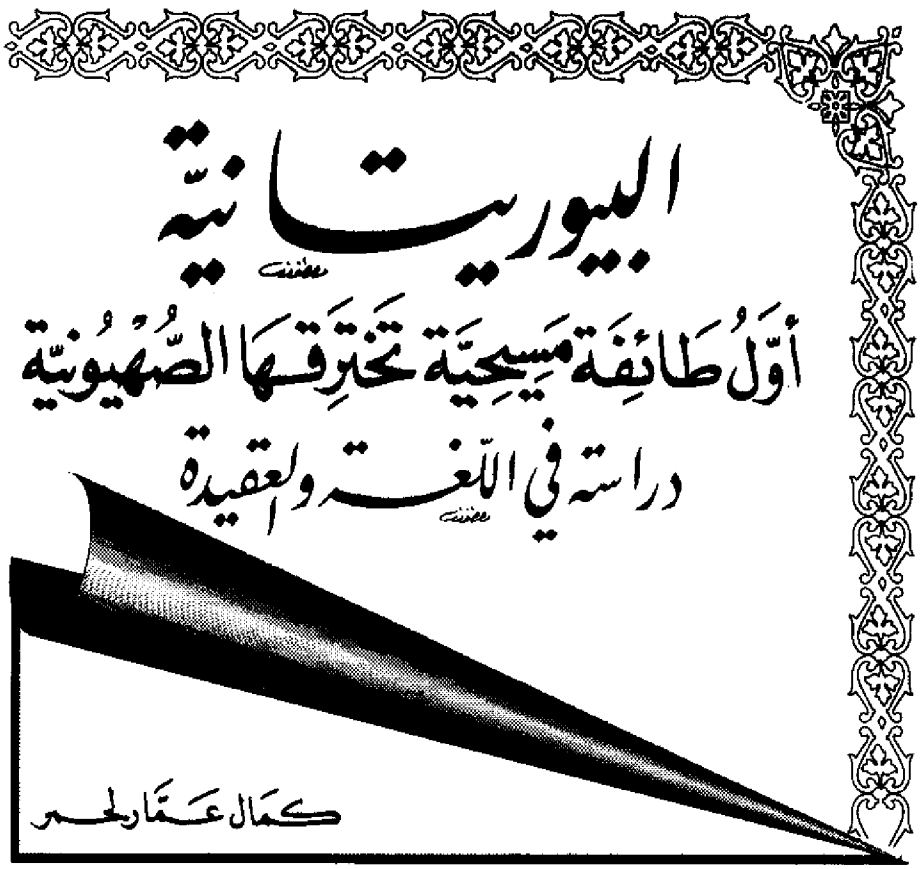

* توطئة:

البيوريتانية طائفة مسيحية تمكن منها اليهود بعدة طرق وأساليب أحصاها الدارسون، فاستخدموها بحنكة لخدمة أغراضهم المباشرة في مجالات المال والاقتصاد والسياسة وحتى الحروب بين البلدان، ولم يتعففوا حتى عن تدنيس الدين أو تشويهه فعمدوا إلى مزج عقيدتهم بعقيدتها ماداموا لا يقبلون المتهودين. كانت الكارثة أن ظهرت طائفة البيوريتان تلبس مسوح الرهبان المسيحيين وتحفظ بين جنبيها قلباً لليهود.

إنها طائفة من فرقة البروتستانت الكالفينيين، ظهرت سنة 1567م في انكلترا بعد أن انشقت عن الكنيسة الإنكليكانية الرسمية مثل ما فعل

الجمهوريون والمشيخيون والمستقلون. دعت إلى البساطة في العقيدة والعبادة وإصلاح الكنيسة من مخلفات الوثنية والشرك الكاثوليكي. حملوا السلاح للدفاع عن مكتسباتهم فكانت الحركة الصهيونية العالمية هي أول وأكبر مستفيد من تضحياتهم. وضعت الملكية حدّاً لسيادة البيوريتان المؤقتة وانتهت حركتهم في القرن 17 . ذاقوا ألواناً كثيرة من المضايقات والقهر فهاجروا إلى أمريكا الشمالية، وهناك أسسوا مستعمرات وسموها على أسماء مدن فلسطينية كما سموا أولادهم تسميات عبرية وعلموها لهم بعد ذلك. مارسوا الحكم الثيوقراطي والأوليغارثي في مدنهم وأقاموا الأحلاف المقدسة وحكّموا الإنجيل في مجتمعهم وحلموا بالكنائس التي يعمرها القديسون الظاهرون.

نحن هنا في هذا البحث ندرس جانبي اللغة والعقيدة دون تطرق للتاريخ.

الفصل الأول: اللغة والأدب

المبحث الأول: في اللغة

أ ـ المعاجم العربية والموسوعات:

إن أول قضية تجابه الباحث في هذا الموضوع هي المصطلح المقابل للكلمة الأعجمية Puritan (بالإنكليزية) و Puritain (بالفرنسية)، وكيف تعاملت معه المطبوعات العربية.

أول مرجع: وقع تحت أيدينا يتناول هذه الكلمة قبل غيره هو «المعجم الفرنسي العربي» الذي ألّفه محمد النجاري باي وصدر سنة 1905م إذ يورد هذه الكلمة بالفرنسية في صيغة الجمع ويجعل مقابلها العربي «المدقّقون»، ويجعل مقابل كلمات السياق نفسه «تدقيق ـ مدقق ـ داع مدقق»[1]. نلاحظ أن

(1) EL-NAGGARY BEY, Mohamed, Dictionnaire Français-Arabe, Librairie du Liban, Imp.F.Mizrahi, Egypt, Alexandrie, 1905, p. 5/2390.

صاحب المعجم هنا حاول أن يورد مقابلاً عربياً للكلمة الفرنسية لكن هذا المقابل يخالف مبنى ومعنى الكلمة الفرنسية ولم يحافظ إلا على جزء قليل من المدلول الموضوعي للشيء.

المطبوعة النموذجية الثانية: التي تعاملت مع هذا الموضوع هي «الموسوعة العربية الميسّرة» التي صدرت سنة 1953م بعد أن استفادت اقتباسات مأذونة كثيرة من «موسوعة مكتب فايكنغ كولمبيا» الأمريكية. تورد الموسوعة العربية رؤوس موادها بالعربية مباشرة دون إيراد اللفظ الأعجمي، وعلى هذا الأساس جاءت مباشرة بالكلمة «بيوريتانية» ثم أردفتها بكلمة ثانية استطرادية بل بعبارة جعلتها بين قوسين هكذا (أو التطهر)، ثم تدخل مباشرة في شرح المصطلح بما يفيد المعنى المراد[2].

لنا عدة ملاحظات على هذا المقابل؛ لقد أحسن المحرر عندما أردف المقابل الأول بمقابل ثان حتى يعززه، لكن الرديف لا نجده في بابه ليحيلنا على المصطلح الأصلي ثم إن خلو الموسوعة من فهرس أعجمي يجعل الباحث يخبط خبط عشواء فيها من أجل العثور على مبتغاه. اختار المحرر تعريب الكلمة بل ربما نقلها دون تعريب لأنه اعتمد النطق الإنكليزي دون سواه، وقد يكون محقاً لأن موضوعها إنكليزي أمريكي لكن ما باله أضاف الياء بعد الراء، أليست الكسرة كافية في اللسان العربي من أجل تقريب الكلمة من الخماسي إن عزّ الثلاثي أو الرباعي. لم يفت المحرر أن يورد المقابل العربي الذي أراه قمينا بمكانه، ويبدو أنه خاف جهالة الناس به أو قلة الاستعمال له ولذلك أخره إلى المرتبة الثانية، وأرى في هذا العمل شيئاً من العذر.

المطبوعة النموذجية الثالثة: هي «موسوعة المورد» التي ألفها المعجمي القدير والمترجم المتمرس منير البعلبكي، وقد صدرت سنة 1983م؛ حيث أورد المؤلف المفردة الأعجمية وجاء بالمقابل «بيوريتانية» ثم أردفها بمقابل غير

---

(2) الموسوعة العربية الميسّرة، مجموعة من الباحثين بإشراف محمد شفيق غربال دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للنشر، القاهرة، ط 1953م. وهي مستفادة قانونياً من: «The Columbia Viking Desk Encyclopedia».

نقلي ولا تعريبي سماه «التطهرية»[3].

إن الأستاذ منير البعلبكي رغم إتقانه للفرنسية، كما تشهد بذلك أعماله، إلا أنه حافظ على نقل المنطوق الإنكليزي للمصطلح، واستعمل الإرداف هو أيضاً لكن هذا المقابل الثاني جاء أقوىٰ في مقابلته للبنية الصرفية للمفردة من ذلك الذي أوردته الموسوعة العربية الميسرة. وأتوقع أن هذه الإجادة جاءت عن خبرته السابقة في نقله مؤلفات المستشرقين إلى العربية ودراساته النقدية عليها.

بناء على ما تقدم من نماذج نستطيع استعمال مصطلح «بيوريتانية» بمجرد خضوع حروفه للعربية وأخذاً بقاعدة الأشهر، لكني أفضل استخدام الأصح مادام غير مهجور.

ب ـ الموسوعات الفرنسية والإيطالية:

عندما نستقرىء الأدبيات العامة والخاصة نجدها ترسم صورة لشخصية الفرد البيوريتاني، وهي بذلك تعكس تصور الناس ومواقفهم تجاه الطائفة وأبنائها، فلنبدأ بالأباعد الذين لا تربطهم قرابة بالطائفة ولا بتاريخها فضلاً عن الاحتكاك بأبنائها. لقد اخترنا المشتهر عند الفرنسيين.

1 ـ موسوعة آلفا الفرنسية تصف «البيوريتاني» بل تعرّفه بأنه : «ذلك الشخص الذي يتمسك بطريقه متصلبة بمجموعة من المبادىء الأخلاقية وخاصة في مجال الجنس. نقول : تربية بيوريتانية» أما تعريف البيوريتانية فتقول فيه : «هي حالة روحية لشخص بيوريتاني. وهي : مذهب وحزب البيوريتانيين»[4].

2 ـ إن «المعجم الموسوعي للتاريخ» المشهور بين المتخصصين في

---

(3) البعلبكي، منير، موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م، ص: 8/ 100.

(4) Dictionnaire Encyclopédique Alpha, Editions Grammont S.A., Lausanne, Suisse, 1983, P. 8/2379.

فرنسا يعرف مفردة بيوريتاني فيقول : «اسم يطلق على أعضاء الاتجاه الأكثر جذرية بين البروتستانت الأنكلوسكسون في القرنين 16 و17 الميلاديين»[5].

3 ـ في المعاجم اللُّغوية الفرنسية المحترمة نجد «المعجم الكبير لاروس الموسوعي»، وهو بدوره يعرف البيوريتاني فيقول : «عضو في طائفة من البرسبيتاريين المتصلبين، الذين يرتبطون بشدة بقراءة مستديمة ومتكررة لكتابات الكتاب المقدس ـ (. . .) هو شخص يظهر صلابة شديدة في المبادىء في المثل : يتظاهر بالتطهر. (. . .) هو كل شخص يذكرنا حاله بالتقشف وتصلب البيوريتانيين. في المثل: يتكلم بلغة بيوريتانية». أما البيوريتانية فهي «. . . التصلب الخلقي والسياسي»[6].

4 ـ في أحد أكبر المعاجم اللغوية الفرنسية وهو «المعجم الموسوعي كبي» نجد تعريف البيوريتاني بما يلي : «. . . مجازاً : شخص يظهر تقشفاً كبيراً وصرامة مبالغاً فيها تجاه المبادىء أو القيم. (. . .) شخص فيه تصلب البيوريتانيين. نقول في المثل : قيم بيوريتانية». أما البيوريتانية فهي: «. . . مجازاً : التصلب في مجال القيم»[7].

5 ـ كيف وصلت هذه الظلال والمعاني والإيحاءات إلى الفرنسيين فتناقلوها على شكل مجازات واستعارات وتشبيهات وأمثال سائرة؟ لا شك أنهم نقلوها عن الإنكليز أنفسهم، فقد يكون صاحب البيت أدرىٰ بما فيه. وقد يكون التأثير وارداً من جيرانهم الكاثوليك الإيطاليين الذين دأبوا على تشويه كل طائفة تسعىٰ إلى الخروج عن الكرسي البابوي. لمَ لا وقد جاء في الموسوعة الإيطالية ما يعكس نظرة الناس عندهم لهذا الموضوع؟ قالت الموسوعة التي

---

(5) Mourre, Michel, Dictionnaire Encyclopédique d'Histoire, Editions Bordas, Paris, France, 1978, P. N -P/3738.

(6) Grand Larousse Encyclopédique, (en 10 Volumes), Librairie Larousse, Paris, 1963, p. 8/Pur.

(7) Dictionnaire Encyclopédique Quillet, Ed: 1977, Librairie Aristide Quillet, Paris, p. P.S/5570.

صدرت سنة 1949م ما يلي : «Questo nome suscettibile de essere inteso in maniera più o meno lato, pare incominciassee ad essera usato in Inghilterra, per indicare un partito religioso...»[8].

نستشف من هذا الكلام نوعاً من التبرؤ المصحوب باتهام الآخر، وربما نقلوها عن أهلها.

ج ـ المعاجم والموسوعات الإنكليزية

ماذا قال الإنكليز والأمريكان في موروثاتهم الأدبية عن صفات البيوريتاني؟ سوف نتتبّع ذلك في المعاجم أولاً ثم في الموسوعات:

1 ـ المعاجم الإنكليزية

1 ـ معجم لغة العالم البريطاني : لم يفت هذا المعجم أن يذكر أن هذه التسمية لم يتخذها أصحابها علماً لهم بل أطلقها عليهم خصومهم ليوحوا للمستمع أن هذه الطائفة شبيهة بطائفة الكاثاري (Cathari). ثم يأتي المحرر ليثبت المعنى المجازي للتسمية فيقول : «هو الشخص الصارم الحازم بشكل وسوسي أو حسّاس ومنضبط في حياته الدينية: بحيث يرىٰ نفسه دائماً في درجة بعيدة عن غايته»[9].

2 ـ معجم المدرسة العليا : «البيوريتاني، هو ذلك الشخص المنضبط جداً في مجالي القيم والدين»[10].

3 ـ معجم كولينز : «هو ذلك الشخص الذي يُنظر إليه على أنه مبالغ في

---

(8) Enciclopedia Italiana, Fondata da: Giovanni Treccani, Istituto della Enciclopedia Italiana, presidente Gaetano de Sanctis, (Ristompa Fotolica del volume 28 publicato nel 1935), Roma, Edizione 1949, p. 28/557.

(9) Britannica World Language Dictionary, by: Encyclopedia Britannica, Inc., (combined with) Standard Dictionary of the Englich Language, by: Funk & Wagnalls, International Edition, Chicago and New-York, 1963, p. 1/1024.

(10) High School Dictionary, by: E.L. Thorndike and Clarence L.Barnhart, 4 thed, Doubleday and Co., Inc., Garden City, New-York, 1965, p: 769.

حزمه في مجالي القيم والدين»[11]. نلاحظ أن هذا التعريف وضع النظرة الشعبية والعامة تجاه البيوريتاني في إطار وصفي ليؤكد على عزل رأيه عنها وربا توحي هذه الصياغة بشيء من النقد لهذه المسلمة. ومهما يكن من أمر في الصياغة فإن البديل مسكوت عنه، وكما يقول علماء الأصول عندنا «لا ينسب قول لساكت».

4 ـ معجم الموروث المصور في اللُّغة الإنجليزية : «هو ذلك الشخص الذي يحيا وفق التعاليم البروتستانية وبالأخص، ذلك الشخص الذي يرىٰ الرفاهية والمتعة رجساً. جاء في مقطع لإيروينغ ستون: «كانت له طبيعة بيوريتانية حادة حتى أنه يرىٰ كل متعة خارج المجال المعرفيّ غير أخلاقية». ندرك من هذا التعريف أيضاً أن استعمالاً بهذا المعنىٰ عرف طريقه إلى كبار الأدباء والكتاب في المجتمع البريطاني فاستعملوه في مجالات الإبداع الواسعة. وقد تسمت بهذا الاسم طائفة مهرطقة في ق 3 م[12].

5 ـ معجم أكسفورد الإنكليزي المختصر في المبادىء التاريخية : نجد في هذا المعجم شيئاً من الإضافات المهمة؛ فهو يذكر أن التسمية ظهرت إلى الوجود سنة 1572م، وأول من استخدمها من اللُّغويين اللاتينيين دي كونجي (Du Conge)، وأول لغوي فرنسي استخدمها هو رونزار (Ronsard). وبعد ذكر أصولها وفروعها واشتقاقاتها يذكر المحرر أن المفردة في بداية أمرها كانت تعبر عما جعلت له، أما الاستخدام العدائي لها فلم يظهر إلا متأخراً. ثم يورد المعجم بعض تطورات الكلمة حيث كانت تعني سنة 1577م كل عضو في أي طائفة دينية أو حزب يظهر تطهراً خاصاً في النظرية أو التطبيق. تحول المعنىٰ سنة 1589م فصار يطلق مجازاً على كل شخص متشدد وموسوس في قضايا الدين. صارت تطلق للتهكم سنة 1592م من كل شخص يظهر التزمت

---

(11) Collins Concise Dictionary of the Englich Language, William Collins Sons and Co. LtD., London and Glasgow, 1st. ed., 1978, p: 608.

(12) The Heritage Illustrated Dictionary of the Englich Language, Houghton Mifflin Company, Boston, International Edition, 1979 (First pub. 1969).p. 2/1061.

والانضباط والوسوسة أو يتظاهر بذلك في مجالي الدين والقيم. جاء في هذا المعنىٰ ما حكاه الأديب البارع شاكس (Shaks): «.. لكن كان بينهم بيوريتاني يتغنىٰ بنشيد الإنشاد، وينشغل بذلك لقضاء وقته»، وجاء في رواية فولر (Fuller): «كان مشمئزاً من أسماء البيوريتانيين الكئيبة». كان الناس يضربون المثل بالبيوريتاني أو مزاجه حيث دوّن ذلك سنة 1606 و 1607م وهو تشبيه نادر الاستعمال في عصرنا. وقد حافظت الكلمة على أهم معانيها حتى سنة 1832م حيث نجد عبارة تقول «من الممكن أن يكون التقشف المعتدل مطلوباً، من غير تطهرية».

وظهر التهكم القاسي من صفة البيوريتاني ابتداءً من سنة 1853م حيث نجد في نص أدبي هذا المقطع «لقد تحول إلى البيوريتانية ما دام صالحاً لغير فائدة أو عمل». زادت وتيرة النقد سنة 1878 إذ نجد مقطعاً أدبياً آخر جاء فيه. «لا أريد أن أعلم بطريقة فجة أو بيوريتانية». وقد أخذت اللفظة هذه معنى سياسياً واقتصادياً ابتداءً من سنة 1885م حيث صارت تعني كل عضو في أي حزب غير ديني أو في مدرسة فكرية يمارس انتماءً متطرفاً إلى مبادئه. ويوصف المتصلبون الاقتصاديون بعبارة «بيوريتانيو المبادىء الاقتصادية». ذكر الأديب ريتش (Rich): «قالوا إنه بيوريتاني، دقيق وموسوس وصارم، وهو غير قادر على تسيير مؤسسة من نوع الجانتلمان». ولم يفت المعجم أن يذكّر بإيراد مقارنة بين معنىٰ الكلمة سنة 1573م عندما كانت تعني «صرامة مبالغ فيها وتشدد» ومعناها سنة 1592م أي بعد قرابة عشرين سنة تقريباً عندما صارت تعني التدقيق بدل التضييق الوسوسي المتشدد حتى تحولت اللفظة تماماً إلى لفظة التدقيقية بكل ما تحمل من معاني علمية غير نفسية (Precisianism).[13]

---

(13) The Shorter Oxford Englich Dictionary on Historical Principals; prepared by: William Little, H.W.Fowler and Jessie Coulson; revised and edited by: C.T. Onions, 3rd. edition completely reset with Etymologies revised by: G.W.S. Friedrichsen and with revised addenda; Clarendon Press, Oxford, 1980 (1st pub. 1933), p. 2/1711.

من هنا ندرك أن النجاري باي في معجمه الفرنسي العربي لم يكن بعيداً كل البعد عن جو هذا المصطلح.

6 ـ معجم وبستيرز التاسع المعهدي الجديد : «هو كل شخص يمارس أو يدعو إلى التشدد الكبير أو يعلم قانوناً أخلاقياً أطهر من ذلك الذي تعارفت عليه الناس» ويعرف التطهرية في مكان آخر بأنها «الانضباط الصارم والتقشف خاصة في قضايا الدين والسلوك». وقد أرخ هذه التعريفات بسنة 1573م[14].

* ـ هذه هي النماذج المعجمية التي عالجت الكلمة في حالاتها اللغوية المختلفة وتوسعت في إيراد تطور مدلولاتها عبر العصور. إنها تحمل مجموعة من المفاهيم تعكس إجماعاً نفسياً تجاه هذه الطائفة وأتباعها مادامت اللغة كائناً حياً يعيش في المجتمع.

2 ـ الموسوعات الإنكليزية :

لا شك أن الموسوعات تتطرق إلى المواد التي تختارها بشيء من التفصيل دون تركيز على الجانب اللغوي وحده، وفي هذا فرصة للتعرف على جو التسمية وخلفياته وموحياته ومضامينه من أجل الوصول إلى حضور الطائفة الحضاري، هل هو ضارب جذوره وراسخ أم هو جسم مصطنع ومغروز بلا جذور.

«موسوعة كتاب العالم» هي الموسوعة التي مكّنتنا من أخذ نظرة تعليلية اجتماعية عن هذه الطائفة حيث تذكر أن تسمية البيوريتان لم تستعمل إلا سنة 1566م تقريباً، رغم أن معتقدات الطائفة وأفكارها كانت قد ظهرت في القرن 15 قبل ذلك. استعملت التسمية حقيقة للدلالة عن كل شخص محسوب ضمن الجسم الكبير بل الجماعة الكبيرة للبروتستانت في إنكلترا. إن الجملة الحساسة جاءت في مطلع الفقرة الأولى مباشرة، تقول فيها الموسوعة

(14) A.Merriam Webster, Webster's Ninth New Collegiate Dictionary, Merriam Webster Inc., Publishers, Springfield, Massachusetts, U.S.A, Ed: 1988 (Principal Copyright 1983), p: 956, 957.

«بيوريتاني، إنه ذلك الاسم الذي فُهم دائماً بشكل خطأ، وبالتالي وقع استعماله في غير محله». لا شك أن عبارة كهذه تحمل دفاعاً مباشراً عن الشخصية ضد اسم العلم الذي تحمله، وتأتي بتعليل قد يكون مقبولاً ثم تهرب عن البديل مادامت قد تحملت مسؤولية النقد والدفاع والتوضيح. بهذا تكون هذه الموسوعة قد أنفردت عن بقية الموسوعات بالجرأة في التقديم والتعليق فضلاً عن المحتوىٰ الموضوعي والتاريخي[15].

لقد اكتفت مجموعة من الموسوعات بذكر الجانب التاريخي وربما الأدبي فحسب دون إعطاء التعبيرات المجازية أهمية خاصة، نذكر منها الموسوعة البريطانية (جزئية سنة 1964)، (كلية 1981)، والموسوعة البريطانية الجديدة (جزئية 1977م)، (كلية 1990)، وموسوعة العصر الجديد (عام 1980)، والموسوعة الأمريكية (عام 1979م).

المبحث الثاني: في الأدب

أ ـ إنتاج المخالفين :

دخلت الشخصية البيوريتانية عالم الأدب عندما تهكم منها مجموعة من كبار الأدباء نذكر من هذه الأعمال الشهيرة : .

1 ـ بيوريتانيو إيكوسيا : قصة ألفها الأديب الشهير والتر سكوت سنة 1816م. وظهرت سنة 1817م. تدور أحداث الرواية حول شخصين أساسين هما العاشقان إديث بيلندن وهنري مورتن، وقد ذكر الروائي في هذه القصة تطرف الكمرونيين من أبناء هذه الطائفة في السنوات الأخيرة من حكم الستيوارتيين[16].

2 ـ مسرحية الكومت بيبولي : هذه المسرحية مستوحاة ومقتبسة من القصة السابقة، مخرجها وموسيقيها هو الفني الإيطالي فنسنزو بلليني. أنتجت

---

(15) The World Book Encyclopedia, Field Enterprises Educational Corporation, International Edition, W.D., p. 15/803, 804.

(16) Gr. Larousse Ency. op. cit., p. 8/pur.

هذه المسرحية وعرضت لأول مرة في باريس سنة 1835م. نقلها إلى الفرنسية بوفي (E.Bouvet) في السنة نفسها وكانت تلك سنة وفاة مؤلفها. وقد عُرضت لأول مرة في أمريكا سنة 1844 بمدينة نيويورك. مكان القصة التي كتبها بلليني (Vincenzo Bellini) يوجد بجانب وداخل حصن في مدينة بليموث بإنكلترا. زمنها هو القرن 17م عندما نشبت الحروب الأهلية بين البيوريتان والملوك الستيوارتيين (Stuarts). تقوم الحبكة على علاقة الحب التي قامت بين «إلايفرا»، ابنة قائد بيوريتاني، وبين اللورد آرثر تالبوت المحب للملوك الستيوارتيين. يساعد آرثر الملك شارل الأول على الهرب، وإلايفرا عندما تجد نفسها أنها تُركت وهرب عنها حبيبها تفقد صوابها. ينتصر البيوريتان ويمنحون العفو للناس فتجتمع هي بحبيبها من جديد وتتعافى. ترفع الميلوديا العالية بغناء «أنا بيوريتاني» وتظهر الألوان المتفرقة لتناسب قاعات المسرح في القرن 19. تقع مسرحية بلليني في ثلاثة فصول[17].

نلاحظ أن هذا الاقتباس نقدي يرد على رواية والتر سكوت (Walter Scott) التي اقتبس منها، وما ذلك النشيد النهائي إلا أغنية الانتصار في إثبات الذات، وأخشى أن تكون تلك الألوان الحاضرة والمفرقة بشكل منهجي أن ترمز إلى يهود الدياسبورا (يهود الشتات).

3 ـ البيوريتاني : رواية كتبها الأديب أوفلاهرتي (O'flaherty)، صدرت في 1932 إنها من روايات القرن الذي نعيشه مع أن التنظيم البيوريتاني كان قد اندثر قبل ذلك بمدة غير قليلة. لا شك أن المؤلف يحس آثار الغرس ومدارسه الوفية[18].

كان هذا نموذجاً عن الأدب العاكس لصورة البيوريتاني في المجتمع الأوربي على وجه الخصوص. فهل غفل البيوريتانيون عن استخدام الأدب في الدفاع عن أنفسهم والدعوة إلى معتقداتهم وطائفتهم؟.

---

(17) Ency. Americana, Op. cit., p. 23/20.

(18) Dic. Ency. Quillet. Op. Cit. p. P.S/5570.

ب ـ إنتاج البيوريتان :

لم تقف أدبيات البيوريتان عند حدود الكنيسة، فمن أجل تأصيل هذه الأدبيات وتعميمها في جميع شرائح المجتمع، كان لا بد من بناء هيكل أدبي فوق قواعدها الفكرية، عكس ذلك ملتون Milton في قصيدته «الفردوس المفقود» حيث يقول: «إن الله سيشق لليهود طريق البحر ليعودوا فرحين مسرورين إلى وطنهم، كما شق لهم طريق البحر الأحمر ونهر الأردن عندما عاد آباؤهم إلى أرض الميعاد، إنني أتركهم لرعاية الله، وللوقت الذي يختاره من أجل عودتهم».

هذه هي بعض أفكار الطائفة واضحة صريحة عن فلسطين وكُلف الأدب بحمل وزرها على كاهله.. بالإضافة إلى ميلتون، ترددت أفكار مشابهة في قصائد وأعمال أدبية للورد بايرون Lord Bayron، وكولريدج Colridge، وألكسندر بوب Alexander Pope، ووليم بليك William Blacke، كما ترددت في كتابات جان راسين Jean Racine وجاك بوسويه Jacque Bossuet. وتعتبر رواية جورج إليوت George Eliot «دانيال ديروندا» من الأدبيات التوراتية التي تنبأت بقيام إسرائيل جمهورية تسود فيها العدالة والحرية والرخاء[19].

بعد هذه الجولة في اللغة والأدب نستطيع أن ندخل في تحديد بقية العناصر الحساسة في الموضوع وإثرائه وخاصة في باب العقيدة والفكر العقدي وما يتبعه من جدل منطقي.

الفصل الثاني: العقيدة والفكر العقدي

مبحث مسردي نقدي

نستطيع أن ندرس عقائد الطائفة وأفكارها من خلال مجموعة من الأطر حتى نصل إلى نقاط تميزها عن بقية الطوائف، والتميز الأهم يكمن في العقيدة.

1 ـ الاختلاف الواضح بين فرق طائفة البيوريتان نفسها في أصول العقيدة

---

(19) السماك، محمد، الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي، نشر : مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط: ع 1993م، ص : 52.

وفروعها، ومع ذلك فإن هناك قواسم مشتركة تجمع بينها. وسوف نلاحظ أن الافتراق الجوهري حول أي نقطة حساسة يؤدي بالضرورة إلى تمييز المختلفين بتسميات طائفية لا تلبث أن تنمو أو أن تموت بموت أصحابها. لا يفوت «موسوعة كتاب العالم» أن تقرر أن الخلاف بين البيوريتان ما هو إلا خلاف راجع للدرجة. ثم يمضي المحرر فلا يبين معنى الدرجة ولا يعطي تفسيراً أو تعليلاً لكلامه[20].

2 ـ إن هناك مبادىء كالفينية كثيرة تم اعتمادها من قبل مجموعة من البيوريتان[21]، بل نسبت الموسوعة الأمريكية ذلك إليهم جميعاً، واعتبرت التطهرية مرحلة من مراحل نمو الإصلاح البروتستانتي ما دام التطهريون كانوا عازمين على إصلاح إنكلترا بمذهب جون كالفن John Calvin (1509م ـ 1564م) كما تم إصلاح مدينة جنيف به من قبل[22]. لقد كانوا متأثرين بعلوم الإلهيات المسيحية التي كتبها كالفن وزوينغلي (Zwingli) وبولينجر (Bullinger) ولذلك لعبوا دوراً حساساً زمن حكم الملكة إليزابيث الأولى حين اعتمدوا في مجادلاتهم وحركتهم على هذه الأدبيات[23].

3 ـ اعتماد كامل لعقيدة كالفن ومنهجه الذي دوّنه في «المقالات التسع والثلاثون» وفي هذه المقالات يورد كالفن كل الأسرار الدينية المسيحية ولم يثبت إلا سرين تقديسيين فحسب (Saréments) هما التعميد والعشاء السري (La cène). [24] ومن هذه التحديدات يقع الوضوح في الطرح سواء كان صالحاً أو فاسداً. ولا بد من الإشارة إلى أن هذه المقالات كان قد كتبها كالفن سنة 1563م في سويسرة.

4 ـ رد الاعتقاد في تحول القربان. وهذا البند من اعتقادات كالفن (transubtantation)؛[25] فالقربان مبدأ في الدين، يوجد في كثير من الثقافات

---

(20)، (21) World Book Ency.. Op. Cit. p. 15/803.

(22) Ency. Americana. Op. Cit., p. 23/20.

(23) Gr. Larousse Ency. Op. Cit., p. 8/pur.

(24)، (25) Dic. Ency. d'Histoire, Op. Cit., p: N -P/3738.

وبأشكال مختلفة، والدافع إليه هو نفسه الذي يدفع الإنسان إلى تقديم هدية الاستعطاف عند الغضب. وفي الكتاب المقدس أمثلة لقرابين كثيرة، كقصة هابيل وتقديمه أبكار غنمه، وافتداء إبراهيم لابنه بكبش سمين (التكوين)، وتقديم يفتاح ابنتهُ محرقة تقرباً إلى الرب (القضاة 11: 20ـ40). ومن أهم قرابين العهد القديم: الحَمَل (خروج: 12)، والتيس (أخبار : 12). ويعتبر صلب المسيح أعظم تضحية في التاريخ عند المسيحيين، ويرمز له بالحمل المقدم للذبح، ويعتبر التناول (والأكل) ذكرىٰ لذلك ومواصلة للتضحية[26]. وتسمي الكنيسة الكاثوليكية القداس ذبيحة القداس. وفي المسيحية قرابين أخرىٰ، كالشموع تقدم للكنائس، أو تماثيل الحمَل الصغيرة الفضية تعلق فيها. أما القربان المقدس، الذي نحن نتحدث عنه، فهو خبز يقدم في القداس عند الكاثوليك والأرثوذكس تصنعه الكنيسة من دقيق صاف على شكل قرص[27]. يزعم المؤمنون بالقربان المقدس أن الخبز والخمر اللذان يُقدمان فيه للناس يتحولان إلى جسد المسيح ودمه. وقد رد على هذا الزعم جمع من علمائنا قبل كالفن بقرون عديدة، وكان منهم العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح».

جاء كالفن فرد هذا الاعتقاد، فما كان من البيوريتان إلا أن يسفهوا مقولة الكاثوليك والكنيسة الشرقية في ذلك.

5 ـ رد الاعتقاد في الحضور الحقيقي ليسوع أثناء تقديم القداس. إنه رد كالفن لتلك العقيدة القديمة المشهورة. إن هذا الرد والذي سبقه ساعدا في انتشار الكالفينية آنذاك في بريطانيا[28].

6 ـ العودة إلى بساطة العقيدة. هذه الدعوة أجمع المؤرخون على إثباتها لهذه الطائفة. عندما نسمع عن بساطة العقيدة بهذا الشكل ينتابنا شعور بالارتياح، لكن عندما نتساءل عن كيفية هذه البساطة نجد الجواب معقداً

---

(26)،(27) غربان، محمد شفيق (إشراف/ مجموعة من الباحثين)، الموسوعة العربية الميسرة م .س .ذكره، ص : 2/ 1374.

(28) Dic. Ency. d'Histoire. Op. Cit., P: N -P/3738.

ويكفي من تعقيده بعض ما مر بنا من أصول وجزئيات عقيدتهم[29].

7 ـ الاستفادة العقدية من الروافد البروتستانتية الأخرىٰ: تكونت عقيدة هذه الفرقة في بداية أمرها من العقائد التي دونها وليم تيندايل (William Tyndale)، وتوماس كرانمر (Thomas Cranmer)، ومجموعة أخرى من البروتستانت الأوائل في إنكلترا ممن وثق البيوريتان في أمانتهم على الكتاب المقدس إنّ البروتستانت الأوائل في إنكلترا كانوا من المذهب العقدي الإنساني على نهج ديسيدريوس إيراسموس (Desiderius Erasmus)، وقد كانوا ملزمين على العمل في إطار مبادىء مارتن لوثر (Martin Luther)، وتمكنوا في النهاية من التوفيق بين الاهتمام الإنساني «والالتزام في سبيل يسوع». ولم تتمكن العقيدة الكالفينية من البيوريتان إلا في العشرية الأخيرة من القرن 16م، عندها حاول البيوريتان دمج هذه العقيدة مع بقية العقائد السابقة بطريقة متناسقة[30].

8 ـ الاستناد إلى عقيدة لاهوتية نابعة من الكتاب المقدس. سموا هذه العقيدة بـ «إلاهيات العهد»، وهي محاولة تنسيق منهجي بين أفكار كالفن العقدية من جهة وموروثات العقيدة اللاهوتية الإنكليزية. تحدث كاهن الآباء الحجاج، وهي نحلة داخل فرقة البيوريتان، وهو جون روبنسون (John Robinson) عن بركة عقيدة كالفن عليهم فقال: «لم يتمكن البيوريتان من أن يكرزوا ويحصلوا على نتائج فورية إلا بعد ما عثر عليهم ذلك الرجل العظيم المخصوص لله، كالفن، الذي رأىٰ مبكراً أنه ليست الأمور التي تملك نسبة أكثر من الحق والحقيقة قادرة على الوصول إلى نتائج لم يكن هو قد قدرها في كلمته المقدسة»[31].

9 ـ الفكر العقدي نابع من مؤلفات المفكرين البروتستانت والأحبار، يأتي على رأسهم زوينكلي (Huldrych Zwingli)، مارتن بوكر (Martin Bucer)، هاينريش بولينجر (Heinrich Bullinger) وبياترو مارتيري فرميلي (Pietro Martire Vermigli). وبدون مفكرين وجدليين كهؤلاء يستحيل التغلب

---

(29) World Book Ency., Op. Cit., p. 15/803.

(30)، (31) Ency. Britannica (Macro). Ed: 81, Op. Cit., P. 15/307.

على الخصوم والمناوئين والمنافسين حيث لا تفلح الطائفة في دعوتها بل تخسر باستمرار ما كسبته من أتباع وفي النهاية لن يبقىٰ فيها إلا كل من كان خاوي الوفاض وانتسب إلى اسم الطائفة فحسب ليكسب مصلحة مؤقتة إلى حين[32].

10 ـ محاربة كل تأويل أو تحريف عقدي ولو كان في مجال التطبيق فحسب[33].

11 ـ الإيمان بإله أقوىٰ[34]. لا نستطيع أن نخالفهم في هذا الاعتقاد مادام يتوافق مع ما جاءت به العقيدة الإسلامية، لكن هل حقيقة يكمن معنىٰ هذه العبارة في صيغتها الظاهرية؟ إن هذه الصيغة غريبة على المسيحيين بل هي مرفوضة لأنها تعبر عن إله مخصوص لشعب بعينه لا لكل الناس، بل هذه العبارة نفسها هي عبارة منقولة حرفياً عن العقيدة اليهودية.

خالجت اليهود عقيدة أن يهوه هو أعظم وأقوىٰ آلهة القبائل طُرّاً، وأنه كان على ذلك ربّاً يعلو كل الأرباب، وأخيراً أنه كان الرب الحق الوحيد. وانتهىٰ الأمر بالشعب اليهودي بأن اقتنعوا ـ على بكرة أبيهم ـ بأنهم الشعب المختار للرب الأوحد في الأرض قاطبة[35].

إن هذه النتيجة التي حدثت لليهود نجد كل المصادر التاريخية تثبتها للبيوريتان وخاصة في أمريكا. لم تكن الأدلة تنقص اليهود ولا التطهريين عن الإله الأقوى مع تصريح أو تلميح لخصوصيته بهم. جاء في سفر الخروج حوار بين يهوه وفرعون بعد أن ضرب يهوه فرعون عدة ضربات، فخاطب يهوه فرعون «لكي تعرف أنه ليس مثلي في الأرض، ولكن لأجل هذا، أبقيتك

---

(32) Ency. Britannica (Macro.) 1981. Op. Cit., p. 15/307.

(33) Dic. Ency. Quillet, Op. Cit.,p: P.S/5570.

(34) Ency. Americana. Op. Cit., p. 23/20.

(35) هـ. ج. ويلز، معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، 1956م، ص : 2/ 55. (نقلاً عن) د. المراغي، محمود أحمد، أشعيا نبي إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي القديم، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة الأولى، (1412هـ ـ 1992م)، ص : 362، 363.

حياً، لكي أريك قوتي، ولكي يعلن اسمي في كل الأرض» (خروج 9: 14 و 16ع ج).

في غمرة الاقتباس أو التأثر باليهود نجد البيوريتان ينسون ما بأيديهم من الكتاب حيث نفى بولس الرسول (للدعوة المسيحية) أي نظرية أو فكرة تثبت صفة الاختيار الإلٰهي لشعب من الشعوب حيث قال (في العهد الجديد): «إن الله ليس لليهود وحدهم بل لجميع الأمم» (رسالته إلى أهل رومية 3: 29).

12 ـ يؤمن التطهريون بالكتاب المقدس وبوجوب طاعته وعدم الخروج عنه[36]. وقد أخذ الأوائل منهم على أنفسهم عهوداً أن يلزموها سلطة «كلمة الله» دون تدخل أي مخلوق أو وساطته[37].

13 ـ يؤمنون بوجود جنة ونار كجزاء في الآخرة عن أعمال الدنيا. وقد كانت هذه المسلمة الإيمانية غير مشكوك فيها أول الأمر وتحولت فيما بعد إلى نقطة جدالية[38].

14 ـ يؤمنون بالخطيئة الأصلية مشاركين في ذلك بقية الفرق المسيحية إذ يعتقدون أن الإنسان يخرج من بطن أمه عاصياً لأن معصية أبيه آدم تلزمه هو أيضاً ولن يشري نفسه إلا بالخلاص الأبدي الذي لن يحصل عليه إلا إذا آمن بيسوع وبأنه الابن الوحيد لله (تعالى الله عن ذلك) وأنه قدمه ليصلب حتى يفدي المؤمنين به من خطيئتهم الأصلية[39].

15 ـ يعتقدون نصياً أنه يمكن قيام «كنيسة قديسين» أي جماعة دينية كاملة من القديسين[40]. وهم في هذا يعلمون أنها أقرب إلى الحلم منها إلى الواقع، فضلاً عن أنها توحي بانعكاس من عقلية نخبوية أو ربما ترفعية.

16 ـ التحول عن المعصية والضلال، ومعنىٰ التوبة شرط أساس للقبول

---

(36) Ency. Americana. Op. Cité. P. 23/20.

(37) Ency. Britannica (Macro), 1981, Op. Cit., p. 15/307.

(38) Ency. Americana, Op. Cit, p. 23/20.

(39) Ency. Americana, Op. Cit, p. 23/20.

(40) Dic. Ency. d'Histoire, Op. Cit, p. N P/3738.

الإيماني عند الله. تعرفها الموسوعة الأمريكية على أنها تلك اللحظة غير العادية التي تدخل فيها المغفرة الممنوحة القلب فيحس بها المرء في جسده وروحه[41]. إن هذه النوعية من الاشتراط خاصة بالبيوريتان، وهي مرتبطة بعقيدة القضاء والقدر المستمدة من تعاليم كالفن. قالت الموسوعة البريطانية الحديثة، إن هذا الاشتراط لم يكن إلا من أجل إثبات الذات والبرهنة على أنهم أرواح مترشحة فاختارها الله من أجل تغيير العالم[42].

17 ـ «القديسون المرئيون»: إن الذي ينجح في تجربة التحول والتوبة يأخذ شخصية جديدة. سوف يدخل مجموعة «القديسين المرئيين» (Visible Saints)، وهؤلاء هم كل شخص يبيّن بسلوكه أن شغله وهدفه الوحيد في حياته يرتكز على خدمة الرب[43].

18 ـ الخوف من ضياع الإيمان. إن هذا الخوف لا يبقىٰ في إطار الغيرة على دين نفسه أو الختام بسوء الخاتمة لكنه يتحول في كثير من الأحيان، بفعل الوسوسة، إلى مرض المالينخوليا الذي يسيطر على الحياة ويحولها إلى جحيم. ومع هذه الحالة قد يتمكن المريض من إخفاء الجانب المظلم في البيوريتانية وذلك ما يعرضه أكثر إلى مرض ثاني هو مرض الإرهاق القاتل[44]. ونستطيع أن نستطرد مع الموسوعة في أن هذا غير معقول لكنه محتمل.

في إطار موضوع التوبة والخوف من تضييعها ألف الأديب البيوريتاني جون بيونيان رواية سنة (1678م) عنوانها «تقدم الحجاج». يجعل الروائي بطل قصته مرتحلاً من مدينة الخراب إلى جبل صهيون (Mount Zion)، كان يخفي وراء ثقلاً يتعبه، إنه رمز خطاياه. عند كان يمشي سقط في حفرة (الفشل). أخذ يبحث عن طريق سوي قريب منه (الحقيقة الدينية). عندما وصل إلى الطريق الواسع وجد نفسه أن الثقل قد سقط عنه فقفز قلبه من شدة الفرح،

---

(41) Ency. Americana, Op. Cit., p. 23/20.

(42) New Ency. Brit. (Macro), 1990, Op. Cit., P. 9/809,810.

(43) Ency. Americana, Op. Cit., p. 23/20.

(44) Ency. Americana, Op. Cit., p. 23/20.

لكن هناك عدة مشكلات تنتظره. كان عليه أن يشكل في صدق حبه ليسوع، كان عليه أن يصمد أمام المغريات والمغويات الفارغة. أثناء عرض هذه القصة يفصل بيونيان معاناة البيوريتاني في رحلته من الخطيئة إلى المغفرة. وبعدما يحصل على الغفران يتمكن من العيش كقديس ظاهر في العالم وليس له.

إن صفة الخوف على صدق الإيمان هذه لازمة للفرد التطهري. إن القديس يراجع نفسه كل يوم لينظر فيها فيرىٰ قلبه ومدىٰ صدقه في اتباعه ليسوع. لقد تمكن وزير كنسي بيوريتاني من وضع قائمة في 60 قاعدة لإرشاد نفسه في إتقان هذه المراقبة. وهناك آخرون مثله ينافسون أنفسهم في الوصول إلى نتائج قلبية أحسن[45].

19 ـ الحصول على الخلاص ممنوح إلٰهياً لعدد محدد من البشر وليس لكل الناس عندما جاء البيوريتان بهذا المعتقد كادوا أن يكونوا الوحيدين من بين الطوائف المسيحية قاطبة في القول به. زعموا أنه الله تعالى يصطفي قدرياً مجموعة من الأشخاص محددة العدد، وليس كل الناس، ثم يمنحهم الخلاص الأبدي تكرماً منه وفضلاً. كانت نظرية الاصطفاء الغيبي، كما تقول الموسوعة الأمريكية، طريق البيوريتان الكلامي للقول بأن الخلاص الأبدي لا يمكن الحصول عليه بصالح الأعمال. لقد استنتجوا بأنه مادام المرء غارقاً في خطيئته الأصلية فإن أي عمل يصدر عنه لا يمكن أن يرضي الرب، وعلى هذا فإن منحه للخلاص يأتي في صفة المنحة والهدية والتفضُّل لا في صفة المقابل عن عمل كان قد قدمه الإنسان. يمكن للإنسان أن يعرف ما إذا كان من بين المصطفين أم لا وذلك من خلال عملية التوبة الدينية وخوض غمارها ومعرفة ما يحدث أثناءها وما ينتج عنها[46].

كانت هذه العقيدة شاذة ولكنها اليوم هي المعتمدة عند أكثرية الطوائف المسيحية تقريباً؛ فالمختارون للحياة الأبدية (144000) شخصاً فحسب، والسر في ذلك مرتبط بأسباط بني إسرائيل الاثنىٰ عشر والذي يتألف كل سبط فيه من

---

(45)، (46) Ency. Americana, Op. Cit., p. 23/20.

اثني عشر ألفاً[47]. إن هذا البند بعينه هو من العلامات الفارقة بين الطوائف المسيحية من جهة والطوائف المسيحية الصهيونية؛ فالفرقة التي تعتقد هذا الاعتقاد فهي من الفرق المسيحية الصهيونية.

20 ـ الرضىٰ والتسليم لقضاء الله وقدره. إن هذا التسليم والرضىٰ له عدة جوانب قد تكون متناقضة في بعض الأحيان حيث يدفعهم هذا الإحساس إلى اعتبار أنفسهم كأنهم فوق جموع الناس المذنبة، وأنهم هم نوع من شعب مختار[48].

استمدت التطهرية هذا البند العقدي من الكالفينية. إن البيوريتاني يجد فيه دوافع متميزة إلى العمل وجمع المال. لقد أجرى عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (Max Weber) في دراساته المشهورة بحثاً عن الجانب الاجتماعي للإيمان بعقيدة القضاء والقدر فقال «إنه يعطي للمؤمن شعوراً عارماً بالوحدة الداخلية، إنه يثير عدم انبهار بالعالم، الذي يصبح منذ ذلك الحين حقلاً للفتح الاقتصادي والتقني. إن البيوريتاني يجد اليقين في قدره عندما يتقن عمله وبدون هوادة، وعندما تنجح مؤسساته المهنية. إن الحياة عنده صراع متقشف، ولا يمكن لأي طارىء أن يثبط من عزيمة المؤمن الذي يدعمه شعوره بأن قضاءه وقدره قد كتبا من قبل. وما دامت قيمه تمنعه من التمتع المطلق بخيرات هذا العالم، فإن البيوريتاني، يلجأ إلى تكديس رأس ماله، واستثماره من أجل الإنتاج أكثر، وهكذا يطمئن إلى خلاصة ـ البيوريتانية تظهر هنا كعامل حساس في تكوين العقلية الرأسمالية الأنجلو سكسونية ـ لقد بقيت البيوريتانية بعد نهاية تجاربها الثيوقراطية، ولو بشكل لا شعوري، ملهمة التجار والماليين والاقتصاديين في الشرق الأمريكي»[49].

21 ـ يعتقد البيوريتان بمفاهيم المسيحانية. وهذه النقطة علامة فارقة بين

---

(47) حمادة، حسين عمر، شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلمود اليهودي، دار قتيبه والوثائق، دمشق، ط : 1، (1411هـ ـ 1990م)، ص : 24، 25.

(48) Gr. Larousse Ency., Op. Cit., p. 8/pur.

(49) Dic. Ency. d'Histoire, Op. Cit., p. P -N/3738.

الفرق المسيحية التي اخترقتها الصهيونية وتلك التي بقيت سالمة.

تفسر الطوائف المسيحانية بداية العالم واستمراره ببعض مرويات التوراة، فقد نظم يهوه (بني إسرائيل)، وجعلهم أمة، وأعطى عبرها دستور شرائعه الكاملة، ثم وعدهم بأنهم إذا أطاعوا شريعته فسيجعلهم أمته المختارة، غير أن بني إسرائيل لم يحفظوا الشريعة، بل إنهم خرقوها مراراً، وهذا يعني أنهم لم يستطيعوا أن يقيموا حكومة يهوه المنشودة، كما أن سقوط ممالك بابل ومادي وفارس واليونان والإغريق يشير إلىٰ فشلها أيضاً في تأسيس الحكومة المنشودة، ثم كان المجيء الأول للمسيح الذي انتهىٰ بصعوده للملكوت الأعلى.

أما المجيء الثاني للمسيح فيسبقه سقوط حكومة الشيطان السياسية والاجتماعية الموجودة على الأرض.

ويمكن تقسيم العوالم السابقة إلى ثلاثة عوالم هي:

العالم الذي كان، والعالم الحاضر الشرير، والعالم الآتي حيث يسكن البر.

1 ـ العالم الذي ابتدأ من الخليقة حتى الطوفان، وكانت تحت سلطة الملائكة، ولكنه انتهىٰ إلى الخيبة والفشل.

2 ـ العالم الحاضر الشرير، الذي هو تحت سلطة إبليس.

3 ـ العالم الآتي والذي سيكون عصر بر وبركة.

إنهم يرون في مجيء المسيح المنتظر (المسيا) هو علامة انتهاء العالم الشرير الذي يعرف في التوراة بوقت النهاية.

وقد سمح يهوه للأمم غير اليهودية بالسيطرة على شعوب الأرض سبعة أزمنة رمزية كما تذكر التوراة، وهي ذات المدة التي سيقع فيها القصاص على أتباع العقيدة اليهودية[50].

وضع يهوه علامات على طريق المعركة الكونية العظمىٰ القادمة والتي ستسقط فيها أمم الأرض لأتباعه وللذين يحبون أن يشاهدوا مجده وعدله

(50) شهود يهوه، م. س. ذ، ص : 125، 127.

الدموي. لقد عيّن يهوه زمان حرب هرمجدون القريبة والتي ستسبق أسعد أيام الجنس البشري على مدىٰ تاريخه، وأن جموعاً كثيرة يزداد عددها باستمرار تنتظر مجيء هذه الحرب الكونية. وهذه الكارثة التي ستحدث على نطاق عالمي ستجيء مع نهاية (وقت النهاية) أي في الوقت الذي يصل فيه العالم إلى منتهاه ولكن ذلك التاريخ لا يدركه أي إنسان على وجه التحديد. ولكن المسيحانيين يخمنون أن وقت نهاية العالم بات قريباً استناداً للمؤشرات التوراتية والواقعية:

1ـ توراتياً: إن الوقت الباقي للشيطان منذ تم طرحه إلى الأرض هو زمان قليل (رؤيا 12: 12).

2 ـ واقعياً: إن الكثيرين من الأحياء الباقين منذ الحروب المدمرة الماضية سيبقون أحياءً حتى اندلاع نيران هرمجدون المدمرة[51].

هذا معتقدهم الذي نقلوه عن اليهود ثم سمموا به معتقدات بقية الطوائف اللاحقة. إن المسيحانية اليهودية تستند إلى نصوص كثيرة في سفر أشعيا تبشرهم بمجيء سيدنا عيسىٰ عليه السلام فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ثم عمدوا إلى التأويل يمنون به النفس ويكذبون به على أطفالهم، فمرة ينتظرون المسيا، ومرة ينتظرون ملكاً، وأخرىٰ ينتظرون مهدياً، ولكن دائماً حسب ما تهوىٰ أنفسهم وما تختار. وسوف يبقون في الانتظار إلى أن يهل عليهم المسيح الدجال، إذا لم ينتبهوا من غفلتهم.

إن المسيحانيين المسيحيين يعتمدون على سفر أشعيا ثم على رؤيا يوحنا اللاهوتي؛ فالمجيء الأول للمسيح الذي بشر به أشعيا مضىٰ وانقضىٰ، أما المجيء الثاني فلا نجد له ذكراً صريحاً ولا مستتراً في كل نصوص الكتاب المقدس. يعتمد المسيحيون في إثبات ذلك على رؤيا يوحنا، ولكن رؤيا يوحنا مردودة شكلاً ومضموناً فاسم صاحبها منحول ومحتواها غير معقول ولا مقبول. لم يقع الاتفاق في تأويل رؤيا يوحنا لأنه رآها وهو يقظ، ولذلك ظهرت مدرستان تفسيريتان لهذه الرؤيا؛ مدرسة الحقيقة ومدرسة الرموز. إن

(51) شهود يهوه، م. س. ذ.، ص: 158.

الذين يفسرون صورة التنين في الرؤيا بأنها دولة عظيمة أو حاكم متغطرس، هؤلاء واهمون، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

إن هذه الدراسة تقع في إطار التنبيه على الاستغلال البشع للنصوص الدينية من أجل التآمر على فلسطين وعلى بلاد المسلمين وعلى الأمة الإسلامية، هو أمر يجب عدم التغاضي عنه، خاصة بعدما وصلت الصهيونية إلى إقناع مجموعة من الطوائف المسيحية بالواجب الديني في المساعدة الشاملة وربط المصير بالمصير.

* هذه هي أهم الأسس التي تقوم عليها عقيدة البيوريتان وفكرهم الجدلي.

*** خلاصة البحث :**

كنا قد قسمنا البحث إلى قسمين؛ الفصل الأول في اللغة والأدب والفصل الثاني في العقيدة والفكر العقدي. في الفصل الأول تتبعنا رحلة الكلمة بين اللغات فمن العربية إلى الفرنسية والإيطالية لتستقر بنا الكلمة عند الإنكليزية. كنا نقدم في كل مرة المعاجم على الموسوعات، وعند نهاية فصل اللغة لم ننس الاستفادة من حدائق الأدب ونقف عند المتخاصمين فيها. إنها مشكلة البيوريتان.

عندما جئنا إلى الفصل الخاص بالعقيدة لم نستعمل فيها المباحث ولا كثرة التبويب بل استعملنا فيها طريقة كالفن في مقرراته اللاهوتية. سردنا النقاط وجعلنا ترتيبها خاضعاً لأهميتها الترتيبية لا الموضوعية فبدأنا بنقاط وبنود مصادر عقائد هذه الطائفة، ثم جئنا إلى أصول العقيدة عندهم بما يتطابق مع أصول الإسلام عندنا كالإيمان بالله وملائكته وكتبه..، ثم جئنا إلى فروع العقيدة وملحقاتها، كما حاولنا أن نؤخر بعض النقاط التي كانت تحتاج إلى شرح وتعليق طويلين يشوّشان على القارىء.

إنها دراسة لغوية دينية اجتهدت أن تبتعد قدر المستطاع عن جوانب التاريخ حتى تفرد له بحثاً آخر عن بداية الطائفة ونهايتها وآثارها الباقية في تنقل معها بين موطنها الإنكليزي وملجئها الهولندي ومستقرها الأمريكي، إن أمد الله في أعمارنا وبارك أعمالنا.